مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــــرام
التاريخ : ١٩٧٣/١٢/٧

بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل

اســـــــرائيل ..
مايجـرى وماجـرى ؟!

سوف يتاثر شكل الحوادث القادمة فى الشرق الاوسط ، الى حد كبير ، بما يجرى فى اسرائيل خلال هذا الشهر : ديسمبر ١٩٧٣

ومن الان ،وحتى آخر يوم فى هذا الشهر : ٣١ ديسمبر ، سوف تصل المعركة الانتخابية الى ذروتها وسوف تنتهى على نحو او آخر الى نتيجتها ...

والانتخابات العامة ــ فى بعض المجتمعات ــ هى فترة حوار حاد بين الافكار والشخصيات والسياسات والخطط ومستويات الاداء . وعندما يشتد الحوار فان التعبير عادة يكون بغير حساب كما ان النوايا يمكن أن تظهر بغير براقع ، وفضلا عن ذلك فان نتيجة الانتخابات العامة ــ فى هذه المجتمعات ــ تحسم ولعدد محدد من السنين : أى نوع من الافكار والشخصيات والسياسات والخطط ومستويات الاداء ــ سوف تكون له السلطة وسوف يملك فى يده القرار ...

وعندما تجرى الانتخابات العامة فى ظروف غير عادية فان الامر يصبح اكثر مدعـــاة للاهتمام ، ذلك لان ضـــغط الظروف لايكشف الصورة فحسب ، وانما يصل الى حد تعريتها تماما ...

واذا جرت الانتخابات العامة ، وجرت فى ظروف غير عادية ، وجرت فى بلد غير عادى ، وكان هذا البلد هو اسرائيل بالذات ـ اذن فنحن امـــام تجربة فريدة تســـتحق متـــابعة دقيقة ، تحت نظر عدسات تكبر ، وتحت سمع ميكروفونات تضخم ، حتى لا تفوتنـــا خلجة او همسة ...

... حتى لا تفوتنا خلجة او همسة لان الصراع هناك معقد الى درجة غريبة : اجيال قديمة واجيال جديدة ، قيم من الاساطير وقيم من العلم ، فلسفات محاصرة وفلسفات تحاول ان تشق لنفســـها منفذا للخلاص ، شـــتات من الغرب وشـــتات من الشرق ، حقـــائق واقعة وسراب يصنعه الوهم ، حزازات قديمة وعداوات طارئة ، خصومات اصدقاء وصداقات خصوم ، شيوخ وشباب ، ساســـة ورساسة ،جنرالات وساسة ،جنرالات وجنرالات... الى آخره...

وفوق ان الصراع معقد الى درجة غريبة ، فان نتيجته يمكن ان تكون خطيرة ، لانها قد تؤثر مباشرة على قضية الحرب والســـلام فى الشرق الاوسط ، وان كنت اقول مقدما ان تأثيرها على قضية الحـــرب سوف يكون اكثر لان اسرائيـــل ليست بتكوينها ولا هى باهدافها ، ولا هى بمزاجها العام مجتمع سلام !

ولأسباب عديدة ، بعضها ظاهر على السطح ، وبعضها غائر فى أعماق النفس الاسرائيلية فان قضية الحرب فى اسرائيل هى المصدر الأساسى لقانون وجودها ذاته :

- هناك مشكلة الأمن ونظرية الأمن
- هناك البقعة الاسرائيلية وسط الحصار العربى الكبير
- هناك رواسب التاريخ اليهودى وتعقيداته
- وهناك نظرة اسرائيل الى العرب واعتقاد من فيها ان الطلقة أكثر نفاذا الى القلب العربى من الكلمة

وهناك أسباب اخرى كثيرة لكننا فى النهاية أمام مجتمع يؤمن بالعنف ، ويتبنى سياسة القوة ، ويتخذ من الحرب عقيدة يؤسس عليها — حتى الان — حياته ومستقبله ، وهو ينظر الى الحرب نظرة تختلف عن نظرة غيرمن المجتمعات لها:

- كان العالم المتمدين كله قد قبل بتعريف « كلاوزفيتز » أبو الاستراتيجية الحديثة : بأن « الحرب هى استمرار للسياسة بوسيلة أخرى » [تفسير ذلك بالنسبة للحرب النووية]

ولكن اسرائيل عمليا عكست تعبير كلاوزفيتز الشهير فاقتنعت نفسها بأن « السياسة هى استمرار للحرب بوسيلة اخرى »

- وكان العالم المتمدين كله قد وافق على أن « الدبلوماسية طب بالعلاج » وأن « الحرب طب بالجراحة » والطب بالعلاج عادة هو البداية ، والطب بالجراحة ملجأ اخير

لكن اسرائيل لم تؤمن فى كل ممارستها السياسية الا بطب الجراحة حتى فى علاج حالات الزكام !!

- وكان العالم المتمدين كله قد استقر على أن الحرب « دقة عالية بالطبل فى سيمفونية العمل السياسى » وهى تدوى فى لحظة حاسمة وعندما يقتضى الامر ضغطا على الايقاع يفرضه التأثير الدرامى

لكن اسرائيل استعملت اوركسترا ليس فيه غير الطبول !

- وكان العالم المتمدين قد استقر — خلافا للانطباع السطحى السريع — على ان اخطاء الساسة هى التى تصنع الحرب وكفاءة الجنود هى التى تصنع السلام

فالحرب تجىء حين يعجز الساسة ، كما ان السلام يجىء حين ينجح الجنود

لكن اسرائيل وحدها مختلفة: جنرالاتها وساستها معا

شركاء فى خطيئة واحدة : خطيئة حرب بغير سلام !

من ذلك كله فان « **الحرب** » ـ **الحرب** التى وقعت يوم ٦ اكتوبر **والحرب** التى قد تقع فى اى لحظة ـ هى محور المعركة الانتخابية الدائرة الآن فى اسرائيل

والحرب التى وقعت يوم ٦ أكتوبر تجربة كاملة تمت فعلا أمام عيوننا ، ومن هنا فان دراستها خصوصا فيما يتصل بالتأثير على الانتخابات العامة الدائرة الان فى اسرائيل تصبح شيئا ضروريا اذا كان علينا أن نتابع هذه الانتخابات ونتائجها القريبة والبعيدة شاعرين أنها موضوع وثيق الصلة بنا لاننا الطرف الآخر فى **هذه الحرب** التى وقعت ، كما أننا الطرف الآخر فى **تلك الحرب** التى يمكن ان تقع

□

ولو ان أحدا سألنى :

ـ ما هو تقييمى **لحرب** أكتوبر ونتائجها ؟ »

لقلت بما يلى :

ـ لا أستطيع ، وربما لا يستطيع أحد ، أن يعطى الآن تقييما نهائيا لحرب أكتوبر ، فهذه الحرب ما زالت دائرة برغم قرار وقف اطلاق النار

لقد جرى اعتراض سير المعارك بفعل عوامل محلية ودولية ، ثم أمسكت مجموعة موازين على الأرض وفى العالم بعمليات القتال ... لكن الستار لم ينزل بعد على مشهد نهائى من مسرح المعقول أو اللامعقول!

والأوضاع الراهنة بالنسبة للطرفين دقيقة ... اكاد اقول انها حرجة .. لكن الميزان مازال معلقا لم ترجح بعد كفة على كفة »

ثم كنت أضيف :

ـ بصرف النظر عن العوامل التى اعترضت سير المعارك ، وعن الموازين التى أمسكت بعمليات القتال ، وعن الستار المرفوع ، وعن الميزان المعلق ـ بصرف النظر عن ذلك كله ، فان هناك حقيقة كبرى لا يمكن انكارها وهى :

« انه مهما كان المشهد والنتيجة والوضع الاخير الذى تنتهى اليه الحرب الدائرة الآن ـ فان نظرية الأمن الاسرائيلى قد اصيبت بضربة قاسية وشديدة بالذات فى الأسبوع الأول من الحرب ...

ان هذه الضربة القاسية والشديدة أحدثت بنظرية الأمن الاسرائيلى ما يمكن ان نسميه عاهة مستديمة سوف تبقى معها باستمرار، حتى اذا تحولت النتيجة النهائية لهذه الحرب ـ لا سمح الله ـ الى صالحها تماما

كانت نظرية الأمن الاسرائيلى تقوم على الفرض بالقوة وكانت ترتكز على ثلاث دعائم واضحة بالنسبة لاسرائيل :

١ ــ المباداة فى يدها دائما
٢ ــ المفاجأة ليست عندها ابدا
٣ ــ كفاءة القتال [التخطيط والسلاح وشجاعة الرجال] حكر لها لا ينازعها فيه غيرها فى المنطقة

وهذه الدعائم كلها اهتزت يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، واهتزت بالتالى نظرية الأمن القائمة فوقها »

ولو أردت ان **ألخص** بسرعة لقلت :

ــ اننا نستطيع على الأقل اعتبار الأسبوع الأول من حرب أكتوبر بمثابة «**رسالة الى الحرب القادمة** »

ولو أردت أن **أستشهد** لنقلت عن شخصية **دولية** لقيتها أخيرا نص **حوار دار بينها وبين السيدة جولدامائير رئيسة وزراءاسرائيل** كان لقاؤهما أخيرا فىعاصمة أوربية ، **وقالت جولدا مائير لمحدثها** ــ وقد سمعت القصة منه بنفسى وان كان قد طلب منى عدم نسبتها اليه ــ **ما يلى :**

ــ اننى اعتبر أننا انتصرنا فى حربأكتوبر: **لقد دفعنا السوريين وراء الخط الذى بدأوا القتال منه عشرة كيلومترات الىالوراء ... ثم اننا نجحنا فى اختراق الخطوط المصرية شرق قناة السويس ووصلنا الى مناطق فى الغرب من قناة السويس »**

وقال لها هو :

ــ بالمقاييس التاكتيكية فربما يكون ما تقولينه صحيحا ... واقول ربما لأن المعركة مازالت مفتوحة لكل الاحتمالات ... لكننا اذا اعتمدنا المقاييس الاستراتيجية فسوف نقول انكم خسرتم مهما كانت الاحتمالات ... لا أقول انكم هزمتم ... ولكن أقول أنكم خسرتم... ربحتم تاكتيكيا ... ربما كان ذلك صحيحا ... وخسرتم استراتيجيا ... وهذا أمامنا مؤكد

لماذا ؟

لقد كنتم تعتمدون منطقا معينا أصبحت له فى تقديراتكم قوة القانون ــ أقصد نظرية الأمن الاسرائيلى ــ ولكن ما كنتم تعتبرونه قانونا لم يعد كذلك فى الواقع ... الموازين بدات تتغير ... لا اقول انها انقلبت راسا على عقب ولكن اقول ببساطة ان ماكنتم تعتمدون عليه فى السابق استراتيجيا أصبح معرضا للتحدى

ان العرب أخذوا المباداة فى يدهم ، ثم أن المفاجأة كانت عليكم ثم أنهم قاتلوا بكفاءة وهذه كلها عوامل لم تكن فى حساب نظرية الامن الاسرائيلى

لقد كنتم مطمئنين دائما الى فجوة واسعة بين الانسان الاسرائيلى وبين الانسان العربى ولقد أثبت الانسان العربى أن الفجوة ليست واسعة الى

الدرجة التى كنتم مطمئنين اليها وهذه رسالة تحذير خطيرة اليكم مؤداها مايلى :

« هذه المرة كانت الامور سيئة ... فى المرة القادمة فان الامور يمكن أن تكون أسوا »

هكذا أقول — ياسيدتى — انكم ربما تربحون هذه المرة تكتيكيا ولكنكم خسرتم استراتيجيا ، وهذا ما ينبغى ان تاخذوه فى حسابكم

هذا ما أقوله ... ولا اقول أكثر منه ، ولا أقول غيره »

وربما كان مفيدا — ولعله مهم — أن نراجع ما حدث فى اسرائيل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ وما حوله

وأتذكر اننى كتبت فى اعقابه مباشرة أقول :

« ان جنرالات اسرائيل ضبطوا وبنطلوناتهم مدلاة فى الحمام على حد ما يقول التعبير الانجليزى »

ثم اننى كتبت أقول :

« ان رؤوسا كثيرة سوف تتدحرج فى اسرائيل نتيجة لما حدث فى الأيام الأولى للحرب وفى مقدمتها رأس الجنرال موشى ديان »

لكنى عندما كتبت ذلك فى وقته لم تكن أمامى صورة مفصلة لما حدث فى اسرائيل فى تلك الفترة

والان فاننى استطعت تجميع كثير من التفاصيل أثق فى مصادرها — وهى عديدة وعلى درجات تسمح لها بأن تعرف حقيقة ما حدث ...

□

كانت القيادة العسكرية الاسرائيلية ، والجنرال موشى ديان وزير الدفاع على راسها ، متاكدة تماما من تقديراتها للموقف :

١ — انور السادات لن يجسر على اتخاذ قرار الحرب

٢ — خط بارليف على حافة القناة عائق منيع كفيل بوقف اى مغامرة

٣ — قوة اسرائيل العسكرية قادرة على تدمير أى هجوم يتخطى — على فرض وقوع المعجزة — حدود خط بارليف

٤ — القوة العربية العامة ممزقة ولن يكون هناك تنسيق عربى من اى نوع

وكانت القيادة السياسية فى اسرائيل والسيدة جولدا مائير على راسها — شريكا مقتنعا بتقديرات القيادة العسكرية

وكانت الانتخابات على الأبواب والهالة التى تحيط بالجنرالات المنتصرين تعطيهم نفوذا سياسيا واسعا الى درجة ان الجنرال ديان لم يفرض البرنامج الانتخابى لحزب العمل فحسب ، بل انه فرض مرشحيه ايضا وكان قوله المشهور :

ـ ليس المهم ان يوضع برنامج يرضينى ، ولكن المهم ان أكون راضيا عن هؤلاء الذين سوف يكون هذا البرنامج فى أيديهم »

وكانت النقطة الحيوية فى برنامج حزب العمل هى خطط التوسع فى الأرض المحتلة وكان هناك من يقاومون الجنرال ديان ولكن أحدهم لم يكن يجرؤ على المعارضة العلنية لآرائه

ووصل الحال الى حد ان ضيفا أجنبيا كبيرا كان يزور اسرائيل وتقابل فى حفل عشاء فى بيت الجنرال حاييم هرتزوج مع عدد من قادة اسرائيل وبينهم الجنرال موشى ديان ووزير الخارجية ابا ايبان

وتضايق الضيف الأجنبى من الطريقة التى كان ديان يتكلم بها وقال له صراحة :

ـ انك مملوء بالخيلاء يا سيدى الجنرال وأنا لا أحب الممتلئين بالخيلاء ! »

وكان ديان يبتسم واثقا من نفسه

ثم خرج هذا الضيف بعد العشاء مع أبا ايبان وفى طريقهما خارج بيت الجنرال هرتزوج لركوب سيارتيهما قال الضيف الأجنبى مشيرا الى حديثه مع ديان .

ـ ان غروره لا يطاق ... ولا أظن اننى أرغب فى مقابلته مرة أخرى »

وقال ايبان :

ـ هذه هى طبيعته ... ولكننا نحاول ترويضه »

وقال الضيف الأجنبى :

ـ عندما اتصور أن هذا الرجل يمكن ان يصبح رئيسا لوزراء اسرائيل فان فرائصى ترتعش »

وكان رد أبا ايبان :

ـ لن يكون رئيسا للوزراء فى يوم من الأيام ... »

ثم أضاف ايبان هامسا :

ـ لن يحدث ذلك الا فوق جثتى ! »

□

ان لجنة التحقيق الخاصة التى تتقصى الآن ما حدث فى اسرائيل يوم ٦ أكتوبر وما حوله والتى يرأسها قاضى المحكمة العليا شيمون اجرانات والتى تضم فى عضويتها أربعة غير رئيسها هم : المستشار موشى لاندو والجنرالات ييجال يادين وحاييم لاسكوف وكلاهما كان رئيسا من قبل لهيئة أركان حرب الجيش الاسرائيلى ، ثم الدكتور ايزاك نيبنزهل مراقب اعمال الدولة فى اسرائيل ـ سوف تكتشف ظاهرة غريبة تلك هى أن اسرائيل فوجئت بحرب اكتوبر ولم تفاجأ بها فى الوقت نفسه !!

واذا بدا هذا القول متناقضا فلعلى أضيف :

ـ ان اسرائيل فوجئت استراتيجيا ، ولم تفاجأ تاكتيكيا

فوجئت استراتيجيا : لانها لم تعلم مسبقا بنية الهجوم العربى وبحجمه ، ومداه ، واهدافه — **فى وقت يسمح لها بملاقاته**

ولم تفاجأ تاكتيكيا : لانها رات أمامها من الشواهد ما يدل على احتمال نشوب قتال على الجبهة المصرية والسورية ثم انها قدرت احتمال نشوب عمليات عسكرية وكان ذلك مساء يوم الخميس ٤ أكتوبر طبقا لروايات أثق فى مصادرها وبالتالى فى صحتها

□

كانت هناك حشود على الجبهة المصرية وحشود على الجبهة السورية ورصدت المخابرات الاسرائيلية العسكرية هذه الحشود قبلها باربعة أو خمسة أيام ، ثم جرى نقاش طويل من حول طبيعة هذه الحشود شاركت فيه ادارة المخابرات العسكرية الاسرائيلية وهيئة المخابرات العامة فى اسرائيل ، ثم انتقل النقاش من حول طبيعة هذه الحشود الى هيئة العمليات فى الجيش الاسرائيلى ثم الى هيئة أركان الحرب

وكان هناك فيما يبدو رايان برزا خلال النقاش :

◄ راى يتزعمه الجنرال الياهو زائيرا رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية ، وهو يقول بما يلى :

● ان الحشود على الجبهة السورية جزء من التوتر العام الذى أعقب اشتباك الطيران السورى والاسرائيلى يوم ١٣ سبتمبر .

● ان الحشود على الجبهة المصرية قد تكون نوعا من التضامن مع سوريا لطمأنتها ، أو ربما كانت بسبب مناورات الخريف التى تجريها مصر عادة فى مثل هذا الوقت من كل سنة .

◄ راى آخر كان ينادى به بعض الضباط الشبان فى المخابرات ، وهو يقول بما يلى :

● ان الحشود على الجبهتين — كما يبدو من عمليات الاستطلاع — أكبر من حالة التوتر العادى بعد اشتباك الطيران يوم ١٣ سبتمبر .

● ان أوضاع القوات المحتشدة على الجبهتين أوضاع هجومية وليست أوضاعا دفاعية تتأهب لحالة توتر يخشى معها من هجوم اسرائيلى .

وكان الراى الذى ساد فى النهاية هو راى الجنرالات ، واستمر ذلك حتى يوم الخميس ٤ أكتوبر .

□

بشكل ما ، وبطريقة ما — تلقت اسرائيل مساء يوم الخميس معلومات عن احتمال وجود نية هجوم وشيك تقوم به مصر وسوريا ، وكانت هذه المعلومات تشير الى ان موعد الهجوم هو آخر ضوء — غروب — يوم ٦ أكتوبر .

[ومما يدعونا الى الاهتمام هنا بهذه النقطة ، ان ذلك الموعد كان هو ساعة الصفر فى الخطة الاصلية ، وقد تغيرت هذه الساعة يوم ٣ أكتوبر فتقدمت عن موعدها فى التخطيط المربى النهائي للعمليات وأصبحت الساعة الثانية بعد الظهر]

وفى ليلة الجمعة وصباح يوم الجمعة ٥ اكتوبر ، كانت أجهزة الاستطلاع والرصد الاسرائيلية قد كلفت بتأكيد او نفى هذه المعلومات . وفى عصر يوم الجمعة ٥ اكتوبر كانت هذه المعلومات شبه مؤكدة بوساطة عمليات استطلاع اليكترونى واستطلاع جوى .

ويروى الجنرال « اريل شارون » ـ الذى قاد فيما بعد هجوم اسرائيل على الضفة الغربية من السويس ـ انه ذهب يوم الجمعة الى مقر القيادة الجنوبية الاسرائيلية فى سيناء والتقى هناك مع « الجنرال جونين » القائد العام لهذه الجبهة ثم دخل معه الى غرفة الخرائط والمعلومات فى قيادته ثم دقق فى أحدى الصور الفوتوغرافية للاستطلاع الجوى واذهله ما رآه والتفت الى « الجنرال جونين » وقال له :

ـ اليست هذه جسور عبور ... ان المصريين ينوون عبور قناة السويس ... ان الامر لم يعد يحتمل اى شك الآن ! »

□

كان مساء يوم الجمعة مشحونا فى بيت السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء اسرائيل فقد ذهب اليها الجنرال موشى ديان وزير الدفاع والجنرال دافيد اليعازر رئيس هيئة اركان الحرب يحملان اليها نتائج الاستطلاع وكلها تشير الى نية هجوم مصرى سورى وشيك .

واستدعت رئيسة وزراء اسرائيل بعضا من وزرائها المقربين ودارت مناقشة طويلة وكانت التساؤلات تدور حول نقطتين :

● ان المعلومات والصور تقول بنية هجوم وشيك ...

● ولكن هل يمكن تصديق ذلك سياسيا .. ؟

كانت المعلومات الجديدة فى صراع مع القناعات التى سبقتها.

واستقر الراى على التركيز فى اتجاهين :

◀ اتصال سياسى مع الولايات المتحدة ، وعن طريقها مع الاتحاد السوفيتى ومصر وسوريا للتنبيه والتحذير .

◀ دراسة احتمالات توجيه ضربة مضادة ، ضربة اجهاض ـ كما يقولون ـ قبل أن تتحرك الجيوش المصرية والسورية على الجبهتين .

وتولت السيدة جولدا مائير بنفسها مسئولية الاتجاه الاول [الاتصال السياسى مع الولايات المتحدةوعن طريقها بغيرها ...]

وتولى الجنرال موشى ديان بنفسه مسئولية الاتجاه الثانى [دراسة احتمالاتضربة اجهاض]

□

واتصلتجولدا مائير بالتليفون السرى المباشر مع سفيرها فى واشنطن « سيمحا دينتز » — وكان مدير مكتبها من قبل — وطلبت أن تتحدث مع وزير خارجيتها أبا ايبان الذى كان موجودا فى نيويورك تلك الليلة وابلغته بأن يتصل بالرئيس الامريكى ريتشارد نيكسون وان ينقل اليه ما لدى اسرائيل من معلومات وان يطلب تدخله

واتصل ابا ايبان بالدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية ونقل اليه ما تلقاه ...

كان الوقت يجرى بسرعة

كان الفجر لم يطلع بعد فى واشنطن وكان «**كيسنجر**» نائما ، ولكنه — بعد انتهاء مكالمة آبا ايبان معه — طلب توصيله على التليفون **بوكالة المخابرات المركزية** الامريكية ليسألها تاكيدا للمعلومات الاسرائيلية قبل أن يتصل هو بالرئيس الامريكى « **ريتشارد نيكسون** » ويوقظه من النوم .

وتلقى «**الدكتور كيسنجر**» ردا بأن هناك — كما قالت تقارير سابقة — حشودا على الجبهتين المصرية والسورية ، ثم ان هناك فى الساعات الاخيرة اشارات الى احتمالات نشوب قتال ، ولكن الامر لا يبدو مؤكدا بطريقة حاسمة .

واتصل كيسنجر بالرئيس الامريكى فأيقظه من النوم وأبلغه بما حدثواتفق معه على ما يمكن عمله وبعدها اجرى كيسنجر اتصالين احدهما مع الاتحاد السوفيتى والثانى مع مصر :

◄ واتصل الدكتور هنرى كيسنجر بالسفير السوفيتى فى واشنطن اناتولى دوبرينين ليتصل بسرعة بالكرملين ، ثم أمر كيسنجر بفتح الخط الساخن بين البيت الابيض والكرملين مباشرة لنقل رسالة من بندين باسم نيكسون الى بريجنيف :

● اذا كان فى نية مصر وسوريا القيامبهجوم علىاسرائيل فان الولايات المتحدة ترجو أن يتدخل الاتحاد السوفيتى للحيلولة دون وقوع مأساة اخرى فى الشرق الاوسط

● اذا كانت حشود مصر وسوريا تخوفا من هجوم اسرائيلى محتمل بعد التوتر الناشىء من اشتباك الطائرات يوم ١٣ سبتمبر — فان الولايات المتحدة تستطيع انتؤكد بالنيابة عن اسرائيل ان اسرائيل ليست لديها نية هجوم

◀ ثم اتصل الدكتور هنرى كيسنجر بوزير الخارجية المصرى وقتها ، وكان هو الاخر فى نيويورك : يرجوه أن يتصل بالقاهرة فورا لابلاغ الرئيس السادات برسالة من الرئيس نيكسون (وكانت فى مضمونها لا تخرج عن رسالة نيكسون الى بريجنيف)

وفى حين كان دوبرينين يتصل من واشنطن بالكرملين فى موسكو ـ فان وزير الخارجية المصرى كان يتصل برئاسة الجمهورية فى القاهرة

كانت الساعة فى نيويورك وقتها السادسة وعشر دقائق من الصباح بالضبط وكانت الساعة فى القاهرة وقتها الواحدة وعشر دقائق بعد الظهر بالضبط

وصلت الرسالة الى الرئيس السادات وكان قد انتقل الى مقر قيادة العمليات فعلا وامامه خرائط الخطة والدقائق والثوانى تزحف فى بطء ورهبة نحو ساعة الصفر وكان باقيا عليها بالضبط عشرون دقيقة لان موجة الهجوم الجوى الاولى بقرابة مائتى طائرة كان محددا لها الثانية الا عشر دقائق

وفى ذلك الوقت تقريبا كان السفير السوفيتى فى القاهرة فلاديمير فينوجرادوف يتصل برئاسة الجمهورية تليفونيا بناء على تعليمات تلقاها من موسكو : يسأل عما بلغهم عن طريق الرئيس نيكسون »

وقيل للسفير السوفيتى : « أن القوات المصرية تقوم الان برد هجوم قامت به القوات الاسرائيلية على بعض المواقع فى خليج السويس ، وان العملية قد تتطور » .

□

فى ساعات الفجر كان الجنرال موشى ديان يدخل ومعه الجنرال دافيد اليعازر وبعض الضباط من هيئة اركان الحرب الاسرائيلية ـ الى مكتب رئيسة وزراء اسرائيل السيدة جولدا مائير وكان يحمل معه تقديراته وتقديرات القيادة العسكرية الاسرائيلية لاحتمالات الضربة المضادة

وليست عندى تفاصيل كاملة عن وقائع ما دار فى هذا الاجتماع ولكن نتائجه قد تشير الى وقائع ما دار فيه

لقد انتهى الاجتماع الى النتائج التالية :

١ ـ لقد فات الوقت لتوجيه ضربة اجهاض مؤثرة بالذات ضد الجيش المصرى لان الامر يقتضى حشد قوات ليست جاهزة لهذه المهمة

٢ ـ ان التدخل بنصف ضربة لن يأتى باى نتيجة خصوصا وان مصر بنت فى الشهور الاخيرة مواقع دفاعية ضخمة

تستطيع ابطال اثر ضربة الاجهاض

٣ ــ ان الاعتماد على الطيران وحده فى ضربة الاجهاض المقترحة سوف يعرض الطيران الاسرائيلي لشبكة الصواريخ المصرية بطريقة مباشرة ومعنى ذلك أن اسرائيل يمكن أن تخسر فى هذه المحاولة من طائراتها ما يعطى لمصر ميزة بدلا من ان يحرمها من ميزة .

٤ ــ أن البدء بضربة اجهاض غير مؤثرة ، أو غالية فى تكاليفها من الطائرات ، لن يكون له من نتيجة الا اظهار اسرائيل مرة اخرى بمظهر المعتدى وهو وضع لاتستطيع مواجهته عالميا مرة اخرى

وربما كان فى استطاعتها مواجهته وليكن ما يكون !اذا جاءت ضربة الاجهاض رادعة ، اما وهى لن تكون رادعة فان البدء بها سوف يكون حماقة سياسية بغير فاعلية عسكرية

والغريب انه ظل حتى هذا الوقت المتأخر اتجاه يقول بان المصريين سوف يغيرون رايهم فى آخر لحظة ... ثم انهم لن يعرفوا كيف يبدأون... ثم انهم اذا بداوا فسوف تضيع المباداة من ايديهم فور ان يبدا التصدى الاسرائيلى لهم !

ودعت السيدة جولدا مائير بعد ذلك الى اجتماع لمجلس الوزراء بكامل هيئته وكانت الساعة التاسعة صباحا من يوم ٦ اكتوبر واتصلت المناقشات وكانت هناك آراء تحبذ الضربة المضادة مهما كان حجمها او بلغت تكاليفها ثم انتهى هذا الاجتماع بدوره الى القرارات التالية :

١ ــ تكثيف الاتصالات بالولايات المتحدة للسؤال عن نتيجة مساعيها

٢ ــ دعوة الاحتياطى العام

٣ ــ صدور امر انذارى بالتاهب الى قوات الجبهة

٤ ــ على وزير الدفاع ورئيس اركان الحرب ان يعيدا النظر فى امكانية توجيه ضربة اجهاض اذا لاحت لهما فرصة ،حتى ولو كانت هذه الضربة بالطيران وحده

وانتهى اجتماع مجلس الوزراء فى الساعة الثانية عشرة ودقائق قليلة ، ونظر احد الوزراء فى ساعته وقال للجنرال ديان :

ــ ما زالت امامك اكثر من خمس ساعات ثمينة ... ان المعلومات تقول بان الهجوم سوف يأتى مع آخر ضوء ونحن الان فى منتصف النهار ... ومن الان الى لحظتها فقد تتاح لك فرصة ! »

وقال ديان وهو يجرى مسرعا الى سيارته قاصدا وزارة الدفاع :

ــ سوف نرى مايمكن عمله »

وارسلت اشارة الانذار الى كل القيادات من «تساهال» قيادة الجيش الاسرائيلى ... وصدر القرار بالتعبئة العامة ... وراحت

اذاعة اسرائيل تردد أشارات استدعاء الاحتياطى المتفق عليها ... وراحت سيارات الجيش تجمع الجنـــود من احتفالات يوم الغفران ... ثم ان قيادات الجبهة التى تلقت الانذار راحت تحاول تبليغه الى وحدات الخط الامامى

وكان مركز قيادة الاتصالات فى « ام خشيب » ـ فى سيناء ـ مشغولا بارسال اشارات الانذار الى وحدات الخط الامامى حينما انقضت عليه الصواريخ

كانت الساعة الثانية بعد الظهر فات الوقت ، وانقضت المفاجاة

وهم الان فى اسرائيل ، ومع حمى المعركة الانتخابية يناقشون ويناقشون ويناقشون

وسوف يبدو أمامهم مهما كان أو يكن تصـــدع فى نظرية الامن الاسرائيلى تحقق بالضـــبط فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم السادس من اكتوبر :

المباداة ليست فى يدهم هذه المرة

ـ المفاجاة عندهم هذه المرة

ومثل هذه الصـــدع فى مثل ذلك المجتمع ليس مجـــرد أمر عســـكرى وانما هو صدع فى البنيان الاجتمـــاعى من أساسه لانه يمس الفلســـفة التى يقوم عليها هذا البنيان .

.....

.....

وبدات وقائع الحرب وحديثها يطـــول لكنه يمـــكن تلخيص محصـــلتها فى عبارة واحـــدة أقولها بمنتهى التحفظ :

ـ ليس هناك ما هو اقـــرب للهزيمـــة أكثر من جيش انتشى بالنصر لان النصر ينسيه امكانية تغيير الموازين ، كمـــا انه ليس هنـــاك ما هو أكثر قربا للنصر من جيش قـــاسى الهزيمـــة لان الهزيمـــة تعلمـــه ضرورة تغيير الموازين » .

محمد حسنين هيكل